

الأربعون العشرية
الحديث الحارثي والعشرون

السنة الجارية في شهر
حكيث الجارية

وكتبه أيمن إسماعيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }
[آل عمران: ١٠٢] { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا - يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠-٧١]

فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة .

* حديث الباب :

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَإِذَا الدَّبَّابُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ ، آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ فَصَكَّكُنْتَهَا صَكَّةً ، فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَظَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا ؟
قَالَ: " ائْتِنِي بِهَا " ، فَاتَّيْتُهَا بِهَا ، فَقَالَ لَهَا: " أَئِنَّ اللَّهَ ؟ " ، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ ، قَالَ: " مَنْ أَنَا ؟ " ، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ: " ائْتِقُهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ "

* تخريج الحديث :

أخرجه مسلم (٥٣٧) ، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.
والنسائي (١٢١٨) باب : الكلام في الصلاة ، وأخرجه أحمد (٢٣٧٦٢)

* أهم الفوائد المتعلقة بحديث الباب :

الأولى : هذا الحديث من أحاديث الصفات :

ذهب جماهير أهل السنة والجماعة إلى أن حديث الباب هذا من أحاديث الصفات الدالة على صفة ذاتية لله - عزوجل - قد دل الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل على إثباتها ، وهي صفة العلو، فإله - تعالى - مستوٍ على عرشه ، فوق سماواته بائن من خلقه ، أي منفصل عنهم . وهو قول الكلابية والكرامية ومتقدمى الشيعة الإمامية .

أولاً : أدلة القرآن :

قال تعالى: { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } (الأعلى / ١) فأخبر أنه أعلى من خلقه. وقال تعالى : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل: ٥٠] فأخبر أنه فوق الملائكة ، ومن مقتضيات اللغة أن مجيء (من) قبل الظرف (فوق) تدل بظهور على أن الفوقية فوقية ذات ؛ لأن فوقية الصفة أو القهز أو القدر لا يؤتى فيها بـ (من) ، فلا يُقال " الذهب من فوق الحديد " ويعنى به علو الصفة ، أو " الملك من فوق الرعية " ويعنى بها من الصفات .^١

وقد أخبرنا الله - تعالى - أنه في السماء على العرش، فقال: { أَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ، أَمْ أَمْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا } [الملك: ١٦ ، ١٧] ، وقال تعالى : { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } [فاطر: ١٠] فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا !!؟

وقال لعيسى عليه السلام : { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } [آل عمران: ٥٥] وقال تعالى : { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } [النساء: ١٥٨] ، وقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣)) (الإنسان/٢٣)

وقال عز وجل: { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } [السجدة: ٥] وقال تعالى: { ذِي الْمَعَارِجِ ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج: ٤] قوله تعالى { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ } (القصاص / ٣٨)

ففي الآية دلالة على أن موسى - عليه السلام - أخبر فرعون بأن ربه - تعالى - فوق السماء ؛ وَلِهَذَا قَالَ { وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ } .^٢

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

قد وصف الله - تعالى - نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة ، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي:

^١ إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (٤٨٤/١)

^٢ النصيحة في صفات الرب جل وعلا (ص/١٢) وإثبات صفة العلو (ص/١٨٨)

في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله - تعالى - عالٍ على الخلق ، وأنه فوق عباده.^٣

*** وأما أدلة السنة :**

(١) حديث الباب :

فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للجارية : " أَيْنَ اللهُ ؟ " ، فقالت : في السماء ، قال : " مَنْ أَنَا ؟ " ، قالت : أنت رسول الله . قال : " أعتقها ، فإنها مؤمنة " ومعنى كونه - تعالى - في السماء :

إذا أريد بالسماء العلو (في) للظرفية وهو أن الله جل وعلا في العلو بائن من خلقه سبحانه وتعالى عالٍ على مخلوقاته بائن من خلقه.

وأما إذا أريد بالسماء : السماء المبنية وهي السبع الطباق فمعنى (في) هنا : بمعنى على يعني : على السماء كما في قوله تعالى : { سِيرُوا فِي الْأَرْضِ } [سورة الأنعام: آية ١١] يعني : على الأرض ، وكما في قوله : { وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ } [سورة طه: آية ٧١] يعني : على جدوع النخل.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فإنها مؤمنة " :

دليل على أنها لو لم تؤمن بأن الله - تعالى - في السماء لم تكن مؤمنة .

(٢) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : الْمَلَائِكَةُ يَتَعَابُونَ فِيكُمْ ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ " ٤

(٣) وعن جابر - رضي الله عنه - في خطبة عرفه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ،

فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكَتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ٥
(٤) عَنْ أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه - قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ:

" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ . ٦

(٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ "

^٣ مجموع الفتاوى (١٢١/٥)

^٤ متفق عليه .

^٥ أخرجه مسلم (١٢١٨)

^٦ أخرجه مسلم (١٧٩)

يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " ٧
(٦) عَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيُّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا
صِفْرًا»^٨

(٧) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
: إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ
الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - عَزَّ وَجَلَّ .^٩

(٨) عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ
قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهَا ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ
كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»^{١٠}

قال أبو سعيد الدارمي :
فإلى مَنْ تُرْفَعُ الأَعْمَالُ !!؟ ، والله بِزَعْمِكُمُ الكاذِبِ مع العاملِ بنفسه، في بيته
ومسجده ومنقلبه ومثواه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.^{١١}
(٩) حديث العروج ليلة الإسراء ، وفيه يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
" لَيْلَةُ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، أَجَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ
فَعَلَّا بِهِ -أى جبريل - إِلَى الْجَبَّارِ ... " ^{١٢}

*الإجماع :

قال أبو الحسن الأشعري :
وأجمعوا على أنه - عز وجل - فوق سماواته على عرشه ، دون أرضه .^{١٣}
وقال ابن بطّة :
وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله -
تبارك وتعالى- على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه
لا يأبى ذلك ولا يكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية ، وهم قوم زاغت قلوبهم
واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين .^{١٤}

^٧ متفق عليه . وهو حديث كثير الطرق، متواتر من جهة النقل، كما ذكر ابن عبد البر في التمهيد (١٢٨/٧)

^٨ أخرجه الترمذي(٣٥٥٦) وأبو داود(١٤٨٨) وجوّد الحافظ إسناده هذا الحديث في الفتح (١١ / ١٤٣)

^٩ أخرجه البخاري (٢٦٣٧) ، وأحمد (٨٤٠٢)

^{١٠} أخرجه مسلم (١٧٩)

^{١١} الرد على الجهمية(ص/٤٩)

^{١٢} متفق عليه .

^{١٣} رسالة إلى أهل الثغر(ص/٧٥)

^{١٤} الإبانة (٣/١٣٦)

قال أبوحاتم وأبوزرعة:

أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصرأً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم أن الله - تعالى - على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً لم ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير^{١٥}

*** وكذلك ممن نقل الإجماع على ذلك :**

شيخ الإسلام ابن تيمية وابن بطة العكبري وأبوسعيد الدارمي ، وقد نقل الذهبي ما يزيد على المائة نيفاً من أسماء الأئمة الذين صرحوا بأن الله - تعالى - في السماء عالياً على خلقه ، منذ ظهور مقالة الجهمية -نفاة العلو- إلى نهاية القرن الثالث .^{١٦}
*** ومما ورد عن الصحابة -رضى الله عنهم- في ذلك :**

قال ابن مسعود رضى الله عنه :

العرش فوق الماء، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .^{١٧}
وقال ابن أبي مُلَيْكَةَ : اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - عَلَى عَائِشَةَ - رضى الله عنها- قبل موتها ، وَهِيَ مَعْلُوبَةٌ ، فَقَالَ :

« فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكَرًا غَيْرِكَ ، وَنَزَلَ عُدْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ »^{١٨}

(٨) وعن أنس -رضى الله عنه- قال : كَانَتْ زَيْنَبُ - رضى الله عنها- تَفَخَّرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَقُولُ : زَوْجُكَنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوْجِنِي اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ .^{١٩}

***وأما العقل :**

فدلالة العقل على علو الله - تعالى- من وجوه ، نذكر منها وجهين :

(أ) الأول :

وهو أن الله - عز وجل - موجود بالاتفاق ، الوجود قَدْرٌ مشترك ، فالله - عز وجل - موجود، وخلق الله - عز وجل - أيضا موجودون ، وهذان الوجودان إما أن يتمايزا، وإما أن يتداخلا:

فإن تداخلا -يعني صار أحدهما داخل الآخر-:

^{١٥} أورده اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، برقم: (٣٢١) وانظر إثبات صفة العلو(ص/١٨٤)

^{١٦} وانظر مجموع الفتاوى(١١٠/١٦) و الرد على الجهمية(ص/٤٩) الإبانة عن شريعة الفرقة

الناجية(١٣٦/٧)ونقد الجوهرة (ص/٢٤٠)

^{١٧} أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٥٩) والبيهقي في الأسماء والصفات

(٨٥١)وقال الذهبي في " العلو " : إسناده صحيح ، ووافقه الألباني في مختصر العلو (ص/١٠٣).

^{١٨} أخرجه البخاري (٤٧٥٣)

^{١٩} أخرجه البخاري (٧٤٢٠)

فإما أن يكون الخلق محيطين بالله تعالى، وإما أن يكون الخلق في داخل الله عز وجل .

وخلق الله - عز وجل - والكائنات منها أشياء مستقبحة ومستنكرة وقبيحة ، مثل النجاسات ومثل القاذورات ، وهذه لا أحد - من جميع من يبحث هذه المسائل- يقول بجواز أن تكون في داخل الله عز وجل .

فإذا تحصل الأمر إلى أنه يتعين أن يكون الله - عز وجل - عالياً على خلقه ؛ لأن الإختلاط يقتضي هذا المعنى العقلي الفاسد، وكون الله - عز وجل - في داخل خلقه هذا فيه نقص لله تعالى .^{٢٠}

(ب) الثاني :

ثبت بصريح المعقول أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص، فإن الله -تعالى- يوصف بالكمال منهما دون النقص، فلما تقابل الموت والحياة وُصف بالحياة دون الموت ، ولما تقابل العلم والجهل وصف بالعلم دون الجهل، والمنازع يسلم أنه موصوف بعلو المكانة وعلو القهر، وعلو المكانة معناه أنه أكمل من العالم، وعلوه القهر مضمونه أنه قادر على العالم، فإذا كان مبايناً للعالم، كان من تمام علوه أن يكون فوق العالم، لا محاذاً له، ولا سافلاً عنه ، ولما كان العلو صفة كمال، كان ذلك كم لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عالياً عليه ، لا يكون قط غير عالٍ عليه .^{٢١}

* الفطرة :

قال الدارمي :

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء ، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعو في السماء دون ما سواها ، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية .^{٢٢}

وهكذا رأينا كل من يسأل أين الله ؟ يبادر بفطرته ويقول في السماء ، فلم يقل قائل : يا الله ، إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو ، بحيث لا يمكن دفع هذه الضرورة عن القلوب ولا يلتفت الداعي يمناً ولا يسرة ، وهذا الوجه يتضمن بيان اضطرارهم إلى قصده في العلو، وتوجههم عند دعائه إلى العلو، والأول يتضمن فطرتهم على الإقرار بأنه في العلو والتصديق بذلك، فهذا فطرة واضطرار إلى العلم والتصديق والإقرار، وذلك اضطرار إلى القصد والإرادة والعمل متضمن للعلم والتصديق

^{٢٠} إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (٤٨٧/١)

^{٢١} انظر درء تعارض العقل والنقل (٦-٥/٧) ومن أراد الاستزادة من دلالات العقل على ذلك فليراجع " الرد

على الزنادقة " (ص/٩٥) ومختصر الصواعق (٢٨٠/١)

^{٢٢} وانظر نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٢٢٩)

والإقرار . ٢٣

* والعرب في جاهليتهم- مع شركهم- كانت عندهم الفطرة السليمة في هذا المقام، حتى كان عنتره وهو من شعراء الجاهلية يقول:

يا عبل أين من المنية مهربٌ ... إن كان ربي في السماء قضاها . ٢٤
وقال ابن القيم :

وعلوه فوق الخليفة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديلها ... أبداً وذلك سنة الرحمن
كل إذا ما نابه أمر يرى ... متوجهاً بضرورة الإنسان

نحو العلو فليس يطلب خلفه ... وأمامه أو جانب الإنسان . ٢٥

*** المخالفون لأهل السنة في هذا الباب :**

*** قول الجهمية :**

وهم في هذا الباب طائفتان ، جهمية معطلة، وجهمية حلولية: وهما يتفان ويفترقان :
(أ) أما وجه الاتفاق بينهما:

فهو في نفي صفة العلو عن الله- تعالى- بدعوى أن إثبات العلو لله -تعالى- يلزم منه
القول بالحد والجهة ، وهذه الأمور- حسب زعمهم- لازمتها إثبات الجسمية ،
والأجسام حادثة ، والله منزه عن الحوادث !!

(ب)وأما وجه الافتراق فهو في إثبات المكان :

فأما المثبتة وهم الجهمية الحلولية، فيقولون: "إن الله في كل مكان " ، تعالى الله عن
قولهم علواً كبيراً .

وأما النفاة وهم الجهمية المعطلة فقالوا:

أن الله لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل .

وقد بلغ بالطائفتين أن لقبوا سلف الأمة المتمسكين بإثبات صفة العلو لله -تعالى-

بلقب " الحشوية . ٢٦ وإليك بيان ذلك :

٢٣ وانظر العلو للعلی الغفار (ص/٨١) ودرء التعارض (٥/٧) وأقويل الثقات في تأويل

الأسماء والصفات(ص/٤١)

٢٤ شرح الواسطية ليويسف الغفيص(ص/٢٤٩)

٢٥ متن القصيدة النونية (ص/٧٥)

٢٦ فالخواص من أهل البدع يقصدون بهذا الاسم أن المسمّى به -وهم أهل السنة- حشؤ في الوجود، وفضلة في
الناس، لا يُعبأ بهم، ولا يُقام لهم وزن؛ إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة، وأفكارهم الفاسدة.

*وأما العوام منهم فيظنون أن تسمية السلف بالحشوية لقولهم بالفوقية، وكون الإله في السماء، بمعنى أنهم
اعتقدوا - وحاشاهم - أن الله تعالى حشؤ هذا الوجود، وأنه داخل الكون - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً
كبيراً -، وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث. على أن هذا القول لم يقل به أحد.

(أ) الجهمية المعطلة :

ساروا على قاعدتهم في نفي صفات الله عز وجل, حيث إنهم أدخلوا الله جل وعلا عن أسمائه وصفاته التي أثبتتها لنفسه أو أثبتتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم الذين قالوا: إن الله ليس في السماء وإنه ليس على العرش، ومن أقوالهم أيضاً: (إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، وإنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع) ، وأكثر المعتزلة على هذا القول .

(ب) الجهمية الطولية :

وهم القائلون بالحلول العام^{٢٧}: والمعنى أن الله بذاته في كل مكان ، ونفوا كونه على عرشه ، وهذا المذهب قد غلب على عبّادهم وصوفيتهم وعامتهم ، وقال به النجارية من المعتزلة .^{٢٨}

* ومن من شبهاتهم في هذا الباب:

١ - قوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

٢ - قوله تعالى: (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ).

٣ - قوله تعالى: (وهو معكم أين ما كنتم).

* تنبيه :

يلحق بالجهمية الحلولية في هذا الباب " المتصوفة الحلولية " : وهم القائلون بحلول الله في كل مكان ، وقد ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، والرازي أيضاً في بعض مصنفاته. ولعل أول من قال بالحلول من المتصوفة في الإسلام هو الحلاج، فمن أقواله في هذا الباب:
أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... ليس في المرآة شيء غيرنا
قدسها المنشد إذ أنشده ... نحن روحان حللنا بدنا

^{٢٧} وإنما ذكرنا مصطلح "الحلول العام" تمييزاً له عما يعرف بـ "الحلول الخاص" :

وهو قول النسطورية من النصارى ومن نحا نحوهم ممن يقول: إن اللاهوت حل في الناسوت. فمصدر هذا القول إنما هو من النصارى، ولكن دخل في الإسلام بواسطة الرافضة الغلاة الذين قالوا: إن الله حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، كما قال به الصوفية المنتسبة إلى الإسلام الذين يقولون بأن الله حلّ في الأولياء. وانظر الشرك في القديم والحديث(ص/٨٤٠)

^{٢٨} وقد أبان شيخ الإسلام ابن تيمية أن قول نفاة المكان هو قول خاصة جهمية ، وقول الحلول قول عامتهم ، وقال في بيان علة التفريق :

" ولهذا كان العامة من الجهمية إنما يعتقدون أنه في كل مكان، وخاصتهم لا تظهر لعامتهم إلا هذا، لأن العقول تنفر عن التعطل أعظم من نفرتها عن الحلول، وتتكبر قول من يقول: إنه لا داخل العالم ولا خارجه ، أعظم مما تتكبر أنه في كل مكان، فكان السلف يردون خير قوليهما وأقربهما إلى المعقول، وذلك مستلزم فساد القول الآخر بطرق الأولى." انظر درء تعارض العقل والنقل(١٥٤/٦)

لا أناديه ولا أنكره ... إن ذكري وندائي يا أنا .^{٢٩}

*ومن الجواب عليهم :

(١) قول الجهمية بنوعهم مخالف للكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة السليمة ، كما تقدّم ذكر ذلك في أدلة كل قسم من أدلة هذه الأقسام .

(٢) في قول الرسول- صلى الله عليه وسلم - أين الله ؟ ، تكذيب لقول من يقول: هو في كل مكان، لا يوصف بأين ؛ لأن شيئاً لا يخلو منه مكان؛ يستحيل أن يقال: أين هو، ولا يقال " أين " إلا لمن هو في مكان يخلو منه مكان .^{٣٠}

(٣) وأما قولهم: إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ، فهذا مما قد أبطله النص والإجماع ، فقد ثبت في الصحيح من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما خطب يوم عرفات، جعل يقول: (ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم! فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: اللهم اشهد)^{٣١}

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

الإشارة إلى فوق إلى الله في الدعاء وغير الدعاء باليد والأصبع أو العين أو الرأس أو غير ذلك من الإشارات الحسية قد تواترت به السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واتفق عليه المسلمون وغير المسلمين .^{٣٢}

(٤) زعمكم حصر العلو في " علو الشأن وعلو القهر " هو في حقيقته تعطيل لدلالات النصوص الشرعية التي أفادت قسماً ثالثاً وهو علو الذات ، وبهذا يحصل العلو المطلق في حق الله تعالى دون تقييد لنوع دون آخر ، والقاعدة هنا :

" اعتبار الدلالات زيادة في الكمالات "

(٥) قَوْلِهِ: { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } [الأعراف: ١٤٣]

فيقال للجهمي: وكيف تجلى للجبل وهو في الجبل؟!!!

وكذلك : لو أن الله - عز وجل- لو كان في كل موضع ، لكان متجلياً لكل شيء، ولجعلها دكاً كما جعل الله الجبل الذي تجلى له دكاً .

، وقال الله تعالى: {وأشرققت الأرض بنور ربها} [الزمر: ٦٩]، فيقال للجهمي:

هل الله نور؟ فيقول: هو نور كله، قيل له: فالله في كل مكان؟ قال:

^{٢٩} وقد ذكروا في أقسام المتصوفة ما يلي :

١ - المتصوفة الحولية: وهم القائلون بحلول الله في بعض مخلوقاته.

٢ - المتصوفة الوجودية: وهم القائلون بوحدة الوجود.

٣ - المتصوفة الإباحية: وهم القائلون بسقوط التكاليف وإباحة المحرمات.

٤ - المتصوفة القبورية: وهم الداعون إلى دعاء الأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً، من دون الله أو مع الله، والمستغيثون بهم، والطالبون لكشف الكربات وقضاء الحاجات منهم. الشرك في القديم والحديث(ص/٨٥٩)

^{٣٠} الرد على الجهمية(ص/٥٢)

^{٣١} سبق تخريجه قريباً

^{٣٢} بيان تلبيس الجهمية (٤/٤٩٧)

نعم، قلنا: فما بال البيت المظلم لا يضيء من النور الذي هو فيه، ونحن نرى سراجاً فيه فتيلة يدخل البيت المظلم فيضيء؟!، فعندها يتبين لك كذب الجهمي، وعظيم فريته على ربه .^{٣٣}

(٦) هذا القول الفاسد الباطل أشد كفراً ونفاقاً من قول النصاري ، فإذا كان معتقد النصاري أن الله -تعالى- قد حلَّ في المسيح عليه السلام ، فقد جعل الجهمية الحلوية أن الله -تعالى- قد حل في كل مخلوقاته .

(٧) لهذا القول الفاسد من اللوازم الباطلة ما يكفي لرده ودحضه ، ومن ذلك أنه الله -تعالى- يحل أجواف العباد وأجسادهم، وأجواف الكلاب، والخنازير، والحشوش، والأماكن القذرة ، تعالى الله عما يقوله أهل الزيغ والإلحاد علواً كبيراً .

(٨) كل آية في القرآن تبين أن الله ما في السموات والأرض وما بينهما ونحو ذلك فإنها تبطل هذا القول ؛ فإن السموات والأرض وما بينهما وما فيهما إذا كان الجميع له وملكه ومخلوقه امتنع أن يكون شيء من ذلك ذاته ؛ فإن المملوك ليس هو المالك والمربوب ليس هو الرب والمخلوق ليس هو الخالق ؛ ولهذا كان حقيقة قول الاتحادية أن المخلوق هو الخالق والمصنوع هو الصانع لا يفرقون بينهما .^{٣٤} قال عبد الله بن المبارك :

نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات، على العرش استوى، بائن من خلقه ، لا نقول كما قالت الجهمية.^{٣٥}

(٥) وأما قول الجهمية المعطلة :

" إن الله - تعالى - ليس داخل العالم ولا خارجه " : فهذا نفي للنقيضين ، ويقول علماء المنطق "النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان معاً" ، فلا يمكن أن نقول : لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا يمكن أن يكون داخل العالم وخارجه في نفس الوقت ، فالنقيضان يستحيل في العقل ارتفاعهما معاً ، كما يستحيل في العقل اجتماعهما معاً ، بل لا بد من ثبوت أحدهما وانتفاء الآخر .^{٣٦} ولذلك قال أحد العقلاء لمن ادّعى ذلك في الخالق:

ميز لنا بين هذا الرب الذي تعتقده وبين المعدوم؛ لأنه الذي لا داخل ولا خارج ولا ولا هذا هو الذي لا وجود له.

(٦) ولهذا القول الفاسد - قول الجهمية المعطلة - من اللوازم الباطلة ما يكفي لرده ودحضه ، وذلك أن نفي قبول أحد الوصفين -الدخول واخروج- من شأنه أن ينفي إمكان وجوده ، فضلاً أن يكون واجب الوجود ، بل هذا يجعله من قبيل المعدوم

^{٣٣} وانظر الإبانة الكبرى (١٣٩/٧) والتوحيد لابن خزيمة(ص/١١٢)

^{٣٤} بيان تلبيس الجهمية(٢٥٢/٢) وانظر المسائل التي حكى فيها شيخ الإسلام الإجماع (ص/٤٠٧)

^{٣٥} رواه البيهقي في الأسماء والصفات(رقم/٩٠٣) والبخاري في خلق أفعال العباد (ص/٣٠) وسنده صحيح.

^{٣٦} وانظر نقد جوهره التوحيد(ص/٢٧٥) وشرح العقيدة الطحاوية د سفر الحوالي(ص/٤٠٥)

الممتنع .

(٧) ومن هذه اللوازم الباطلة :

قولكم إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه لأنهما من خصائص الأجسام !!
مثله في البطلان كمثل قول الفلاسفة أن القيام بالنفس والقيام بالغير كلاهما منفي عن
الله ؛ لأنهما من خصائص الممكن ، فلاكما ينفي الإله حقيقة ؛ إذ أن النفيين في
ميزان العقل سواء .^{٣٧}

*** أما الرد على شبهاتهم :**

فقد تأولت الجهمية قول الله: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ } [المجادلة: ٧] ، قالوا: إن الله معنا وفينا !!
*** وجواب ذلك :**

أن المعية في لغة العرب: معناها مطلق المصاحبة، وهي تختلف باختلاف ما
أضيفت إليه، فتقول العرب: لا زلنا نسير والقمر معنا ، ويقول القائل : معي
زوجتي، وإن كانت زوجته في بلد وهو في بلد.

فقوله تعالى- يقول: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } ،
ثم قال: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } يعني الله بعلمه، { وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا
هُوَ سَادِسُهُمْ } يعني بعلمه { وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ } يعني بعلمه
فيهم { إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } فعاد الوصف على العلم، وبين أنه إنما أراد بذلك
العلم، وأنه عليم بأمورهم كلها . فقد فتح الخبر بعلمه ، وختم الخبر بعلمه .^{٣٨}
قال أبوسعيد الدارمي :

أنكم جهلتم معناها ؛ فضللتم عن سواء السبيل، وتعلقتم بوسط الآية، وأغفلتم فاتحتها
وخاتمها؛ لأن الله - عز وجل - افتتح الآية بالعلم ، وختمها به ؛ ففي هذا دليل على
أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم، لا بأنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم، فهذه حجة
بالغة لو عقلمتم.^{٣٩}

قال الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ }
: هو على عرشه ، وعلمه معهم أينما كانوا . قال أحمد: هذه السنة .^{٤٠}
*** والإجماع قائم على حمل هذه الآيات على معية العلم :**

قال أبو عمر :

علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله عز وجل:
{ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم } هو على العرش، وعلمه في كل مكان،

^{٣٧} وانظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح النونية (ص/٣٩٢) وشرح النونية لخليل هراس(١/١٨١)

^{٣٨} انظر الرد على الزنادقة (ص/٢٩٦) والإبانة (١٤٤/٣) ومقدمة رسالة العرش(ص/١٥٧)

^{٣٩} والرّد على الجهميّة للدارمي (ص/٤٩)

^{٤٠} أخرجه ابن عبد البر في "التمهيد" (١٣٩/٧) وعبد الله بن أحمد في "السنة" (٣٠٤/١) وابن بطة في "الإبانة"
(رقم /١٠٩) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٠٩/٣٤١/٢) وإسناده حسن.

وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله .^{٤١}
قال أبو عمرو الظلمكي :

وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: {وهو معكم أين ما كنتم} [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء .^{٤٢}
قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وليس معنى قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ} [الحديد: ٤] أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل «القمر» آية من آيات الله، من أصغر مخلوقاته، هو موضوع في السماء، وهو مع المسافرين، وغير المسافرين أينما كان .^{٤٣}
***والحاصل مما سبق ذكره :**

أن سياق هذه الآية التي شغبوا بها قد حدد المعنى المراد ؛ واعتبار سياق الكلام مخصص لمدلولات الألفاظ ، فالسياق كالنص في إفادة القطع وعدم قبول التأويل .
قال ابن القيم في النونية :

وأصح لفائدة جليل قدرها ... تهديك للتحقيق والعرفان

إن الكلام إذا أتى بسياقه ... يُبَيِّنُ المُرَادَ لمن له أذنان

أضحى كنص قاطع لا يقبل الـ تأويل يعرف ذا أولو الأذهان
فسياقه الألفاظ مثل شواهد الـ أحوال إنهم لنا صنوان
*** وعليه يقال :**

أنه لا منافاة بين علوه -تعالى - وبين معيته لخلقه :
قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

أخبر الله في كتابه ، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سلف الأمة أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه ، عليّ على خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} .^{٤٤}

*** وقد ضرب الإمام أحمد لرد ظاهر هذا التعارض مثالين ، فقال:**

^{٤١} وانظر التمهيد(١٣٩/٧) وإثبات صفة العلو(ص/١٦٦)

^{٤٢} اجتماع الجيوش الإسلامية(ص/١٤٢)

^{٤٣} اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة(الواسطية)(ص/٨٤)

^{٤٤} مجموع الفتاوى (١٤٢/٣)

لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صافٍ ، وفيه شراب صافٍ ، لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح. والله - وله المثل الأعلى - قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى:

لو أن رجلاً بنى داراً ، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان لا يخفى عليه كم بيتاً في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون في جوف الدار، فالله - وله المثل الأعلى - قد أحاط بجميع ما خلق، وعلم كيف هو من غير أن يكون في شيء مما خلق .^{٤٥}
* فالله - تعالى - مستوٍ على عرشه استواءً لائقاً بكماله وجلاله، وجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل، فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام ، ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علواً كبيراً .

ألا ترى - والله المثل الأعلى- أن أحدنا لو جعل في يده حبة من خردل أنه ليس داخلًا في شيء من أجزاء تلك الحبة ، مع أنه محيط بجميع أجزائها ، والسموات والأرض ومن فيهما في يده - تعالى - أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى ، فهو أقرب إلى الواحد منا من عنق راحلته ، مع أنه مستوٍ على عرشه.^{٤٦}
*** فإن قيل :**

قد استشكل بعض المتكلمين المتأخرين ذلك وقالوا:

إن السلف وقع في كلامهم مادة من التأويل، وذلك في مسألة المعية، حيث قالوا في آيات المعية أنها معية علم !!

وجواب ذلك :

ظن المتكلمون أن هذا من باب التأويل، والأمر ليس كذلك ؛ لأن التأويل باصطلاح أصحابه خروج عن المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي لقرينة ، أو خروج من حقيقة الكلام إلى مجازه، وآيات المعية ليس فيها خروج عن الحقيقة إلى المجاز؛ لأن هذا هو المتبادر إلى الذهن .

وإذا ما تنزلنا بأن هذا تأويل ، فهنا أمران :

(١) لو كان تأويلاً فما نحن تأولنا ، وإنما السلف الذين وجب اتباعهم ؛ فإن ابن عباس والضحاك ومالكاً وسفيان وكثيراً من العلماء قالوا في قوله {وهو معكم} أي علمه . ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف أن الله - تعالى - في السماء على عرشه ، وجاءت هذه اللفظة مع قرائن محفوفة بها دالة على إرادة العلم منها وهو قوله {ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض} [المجادلة ٧] ثم قال في آخرها {أن الله بكل شيء عليم} فبدأها بالعلم

^{٤٥} الرد على الجهمية والزنادقة(ص/١٤٩)

^{٤٦} دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب(ص/٢٣٠)

وختمها به ثم سياقها لتخويفهم بعلم الله -تعالى - بحالهم وأنه ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم عليه.

(٢) التأويل هو المعنى المجازي للسياق، باصطلاح أهل التأويل، فما هو المعنى الحقيقي للسياق الذي خرجنا عنه ؟
سيقال أن المعنى الحقيقي هو القول بالمعية على ظاهرها كما هو قول أهل الحلول والإتحاد ، لأنه ظاهر السياق ، وهذا مما لا يقال به لغة ولا عقلاً ، بل المتبادر عقلاً والممكن عقلاً أن معية الله - سبحانه وتعالى- إنما هي معيتان :

(أ) معية عامة :

وهي معية العلم ، كما في قوله تعالى (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد/٤)
(ب) معية خاصة :

وهي معية الحفظ النصروالحفظ والتأييد ، كما في قوله تعالى { إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } (التوبة/٤٠) ، وقوله تعالى (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)) (طه/٤٦)^{٤٧}
(٢) ومن شبهاتهم :

قوله تعالى (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) (الأنعام/٣) ، وقوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) (١٤) (الزخرف/١٤)
قال أحمد :

إنما معنى قوله تبارك وتعالى: { وهو الله في السماوات وفي الأرض } [الأنعام: ٣] يقول: هو إله من في السموات ، وإله من في الأرض .^{٤٨}
فقوله تعالى (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) معناه :
أن الله -تعالى- هو المألوه الذي تأله القلوب ، المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين في السماوات والأرض. والألوهية : هي العبودية ، والتأله : هو التعبد، وهكذا معناها الاصطلاحي، فكل كلمة إله في القرآن فإن المراد بها المعبود .

(٣) ومن شبهاتهم التي شغبوا بها :

قوله تعالى { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } (الحديد الآية ٣) !
قال محمد بن الحسين الأجرى:

ومما يحتج به الحلولية، مما يلبسون به على من لا علم معه يقول الله عز وجل: { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } وقد فسر أهل العلم هذه الآية: هو الأول:

^{٤٧} وانظر ذم التأويل (ص/٤٦) وشرح الواسطية ليويسف الغفيص(ص/٢٤٩)
^{٤٨} وانظر الرد على الزنادقة والجهمية(ص/٢٩٢) وقد أجاب عن هذه الشبهة جمع من السلف ، فليراجع لذلك مجموع الفتاوى(٤٠٤/٢) والرسالة الوافية (ص/١٣٢) وتفسير ابن كثير (٣/٢٣٩) والصواعق المرسلة(٤/١٣٠) والإبانة الكبرى(٧/٤٣)

قبل كل شيء؛ من حياة وموت، والآخر: بعد كل شيء؛ بعد الخلق، وهو الظاهر:
فوق كل شيء -يعني ما في السموات- وهو الباطن: دون كل شيء يعلم ما تحت
الأرضين، ودل على هذا آخر الآية { وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }^{٤٩}.

* قول الأشاعرة :

يعد الأشاعرة من نفاة علو الله تعالى ، فقد شابها الجهمية المعطلة في قولهم .
* وشبهة الأشاعرة فيما قالوه من نفى العلو أنهم قد جعلوا إثبات العلو ونفي التحيز
تناقضاً ، فقد جعلوا من لوازم إثبات علو الله -تعالى - أن يكون متحيزاً وذا جهة
وحد يحده ، فقالوا :

لو كان الله -تعالى- في جهة العلو بذاته لأشبهه المخلوقات، لأن ذلك يعني أن يكون
الله في مكان، والمكان يقتضي التحيز والتجسيم، وهذه من خصائص المخلوقين، لأن
ما أحاطت به الأمكنة واحتوته فهو مخلوق مجسم !!

وفي ذلك يقول صاحب الجوهرة :

."ويستحيل ضد ذى الصفات في حقه كالكون في الجهات " °

* الرد على الأشاعرة :

(١) كل ما سبق ذكره في الرد على الجهمية المعطلة يقال هنا رداً على الأشاعرة .
(٢) من التناقض البين فيما انتحلته الأشاعرة في هذا الباب أنهم مع نفيهم لعلو الله
عز وجل ، تراهم يقرون أن الفطرة دالة على علوه ، لذا فقد حمل هذا التناقض البين
جملة من كبار الأشاعرة على الرجوع عن هذا اللحن الجلي لنصوص الشريعة ،
وإن لم يكونوا قد رجعوا إلى الحق ، ولكن يكفي تركهم للباطل .
فقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي
المعالى الجويني المعروف بإمام الحرمين ، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول:
كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان.
فقال الشيخ أبو جعفر:

أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط:
يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمناً ولا يسرة فكيف ندفع
بهذه الضرورة عن أنفسنا، قال: فلطم أبو المعالي رأسه ونزل. وقال: حيرني
الهمداني حيرني.^{٥١}

* قلت :

^{٤٩} الشريعة (٢ / ٨١)

^{٥٠} قال البيجوري في شرح هذا البيت (فليس -أي الله تبارك وتعالى- فوق العرش ولا تحته، ولا عن يمينه ولا
عن شماله ... فليس له فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال ..) شرح جوهرة التوحيد (ص ١٦٣).

^{٥١} البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص/٣٥٤) ومقالات في تناقض الأشعرية (ص/١٠٩) قال الألباني : هذه قصة
مسلسلة بالحفاظ . وممن أعلّ هذه القصة تاج الدين السبكي كما في طبقات الشافعية (١٩١/٥) فأنتى بكلام لا
وزن له عند أهل التحقيق .

وهذه ثمرة من اتباع قضية عقلية - زعموا- مخالفة للنقل والفطرة ،بل وللعقل السليم ، فلما كان طرحهم من عند غير الله -تعالى- وجدنا فيه اختلافاً كثيراً ، وانظر ماذا فعل بهم هذا الترنح لما نفوا علو الله -تعالى- ثم زعموا إثبات رؤيته في الآخرة من غير جهة ، فجاءوا بقول لم يقل به أنس قبلهم ولا جان .

(٣) ما ذهب إليه المتأخرون من الأشاعرة من قولهم بنفى الجهة عن الله - مع مخالفتهم لجماهير أهل السنة - قد خالفوا فيه إمامهم خاصة ، وهو الإمام أبو الحسن الأشعري الذي ذكرنا أنفاً نقله لإجماع أهل السنة على إثبات علو الله تعالى . وكذلك خالفوا فيه أئمتهم المتقدمين أمثال : الباقلاني الذي قال بعلو الله -تعالى- على عرشه ، وكذلك ممن صرح بإثبات العلو :

ابن كلاب وأبو الحسن الطبري تلميذ الأشعري والحارث المحاسبي . وقد نقل ذلك عنهم كل من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الذهبي وابن القيم ، لتقرم بذلك الحجة على متأخريهم الذين خالفوا نهج أئمتهم فقالوا بنفى الجهة ، كالغزالي والجويني والأمدي وغيرهم الذين أخذوا قول الجهمية والمعتزلة في هذا الباب .
* وإذا كان أبو الحسن الأشعري و ابن كلاب موافقان للسلف في إثبات العلو، وعليه فإن كل من يزعم الانتساب إليهما مع مخالفته لهما فدعواه باطلة .^{٥٢}

* وأما قولهم :

أن لوازم إثبات علو الله -تعالى- أن يكون متحيزاً وذا جهة وحد يحده !!
لو كان الله -تعالى- في جهة العلو بذاته لأشبه المخلوقات، لأن ذلك يعني أن يكون الله في مكان، والمكان يقتضي التحيز والتجسيم، وهذه من خصائص المخلوقين، لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته فهو مخلوق مجسم !!

* فالجواب أن يقال :

أما قولكم أن إثبات العلو لله - تعالى - يقتضي التحيز والحد والمكان ، وهذه من خصائص المخلوقين!!

فيقال أولاً :

أن الله - تعالى - ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته، ولا يدرك بقياس ، ، وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب أن الذي ليس في مكان فهو عدم .
وقد صح في العقول، وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان، وليس بمعدوم ، فكيف يقاس على شيء من خلقه ، أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .^{٥٣}

^{٥٢} انظر التمهيد للباقلاني(ص/ ٣٠١)والفتوى الحموية (ص/٥٨)و العلو للذهبي(ص/ ١٦٨) واجتماع الجيوش الإسلامية (ص/ ١١١)والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (ص/١٢١)بتحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف ، والأشاعرة في ميزان أهل السنة(ص/٤٦٦)
^{٥٣} "اجتماع الجيوش الإسلامية" ص ٩٧ .

*ثانياً :

قولهم هذا إنما ينبى على عقول لم تعرف من الإثبات إلا تحقق المشابهة ، ففرت من ذلك إلى التحريف والتعطيل ، فما قدروا الله -تعالى - حق قدره .
فلا يتصور زعمهم باقتضاء العلو للتحيز والحد إلا في حق المخلوق ، وأما الله - عزوجل - فلا سمى له ، ولا نظير له .

وأي تحيز أو حد يتصور في إثبات علو الله عزوجل !!!؟

* تأملوا في عظم مخلوقات الله تعالى ، فكيف بخالقها !!!؟

قال ابن مسعود رضى الله عنه :

"رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمَانَةٌ جَنَاحٍ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" سَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ « ٥٤

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ" ٥٥

* وهل من عاقل يخطر بفره أن قول الجارية أن الله -تعالى - في السماء يلزم منه أن السماء تظله أو تحويه !!!؟

قال تعالى { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } ، " فما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في الأرض الفلاة " ٥٦ ، فإذا كان الكرسي قد وسع السماوات والأرض ، فكيف بالعرش !!!؟ ثم كيف بمن فوق العرش سبحانه وتعالى !!!؟

* هذا خلق الله ، فأروني أي عقل جهول يتوقف افي إثبات صفات الله - كالعلو - خشية الوقوع في القول بالتحيز أو التشبيه أو المماثلة !!!؟ وصدق الله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

* وأما إطلاق لفظ المكان في حق الله تعالى :

إطلاق لفظ المكان في حق الله عز وجل نفيًا أو إثباتًا من الأمور التي لم يرد بها كتاب ولا سنة ، بل ينبغي الإمساك عن إطلاق هذا اللفظ ، والوقوف عند ما ورد به النص من استواء الله على عرشه فوق سماواته . لأن لفظ المكان من الأمور التي تحتمل حقًا وباطلاً ، ولأهل العلم تفصيل في ذلك :

٢- فقد يراد بالمكان أمر عدمي:

وهو ما فوق العالم من العلو. والله سبحانه وتعالى فوق العالم غير مفتقر إلى شيء

٥٤ متفق عليه .

٥٥ أخرجه أبوداود (٤٧٢٧) ، وانظر صحيح الجامع (٨٥٤)

٥٦ ورد هذ عن مجاهد ، أخرجه سعيد بن منصور عنه في " تفسيره " وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (١٣ / ٤٢٢)

من مخلوقاته. فيصح إطلاق أن الله في مكان بهذا المعنى. وإن كان الأولى الإمساك عن إطلاق هذا اللفظ نفيًا أو إثباتًا ، حيث أن النصوص قد انتهت إلى إثبات العلو المطلق في حقه سبحانه وتعالى ، وأنه مستوٍ على عرشه كما أخبر.

٢- وقد يراد بالمكان أمر وجودي :

وهو ما يحوي الشيء ويحيط به، أو ما يستقر الشيء عليه بحيث يكون محتاجاً إليه ، والله - عز وجل - منزه عن المكان بهذا المعنى الذي يقتضي الإحاطة والافتقار.^{٥٧}

* وبهذا التفصيل يتبين الوجهة عند من نفى من السلف المكان عن الله تعالى ، كما ورد ذلك في قول ابن حاتم السجزي :

" وعند أهل الحق أن الله - سبحانه - مباين لخلقه بذاته، فوق العرش بلا كيفية ، بحيث لا مكان " ^{٥٨} .

*** وهل يصح إطلاق لفظ الجهة في حق الله تعالى ؟؟**

والجواب :

نقول أولاً :

أن لفظ " الجهة " مما لم يرد إثباته ولا نفيه في أدلة الشرع ، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء ، كما هو وارد في حديث الباب .

ثانياً :

ننظر إلى المعتد للقاتل بالجهة :

أ) إن كان يعتقد أن الله - تعالى - في داخل المخلوقات، وتحويه المصنوعات، وتحصره السماوات ، فهذا مبتدع ضال ؛ فإن الكتاب والسنة مع العقل دلت على أن الله لا تماثله المخلوقات في شيء من الأشياء .

ب) وإن كان يعتقد أن الخالق -تعالى- بائن عن المخلوقات، وأنه فوق سماواته على عرشه بائن من مخلوقاته، فإنه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فهذا مصيب في اعتقاده، موافق لسلف الأمة وأئمتها.^{٥٩}

وفي معنى الإثبات على الوجه الصحيح يقول الإمام القرطبي :

وقد كان السلف الأول - رضي الله عنهم - لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله - تعالى - كما نطق كتابه، وأخبرت رسله ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه تعالى استولى على العرش حقيقة.^{٦٠}

*** وكذلك يقال في إطلاق الحد ما قيل في "المكان والجهة" :**

أ) إن أردتم أن يكون محدوداً، أي:

^{٥٧} منهاج السنة ٢ / ١٠٦ و"الألباني: مقدمة مختصر العلو(ص / ٧٢).

^{٥٨} رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت(ص/٧٨)

^{٥٩} درء تعارض العقل والنقل (١/٣٨١)

^{٦٠} الجامع لأحكام القرآن(٢/٢١٩)

يكون مبايناً للخلق منفصلاً عنهم، فهذا حق ليس فيه شيء من النقص.
سئل ابن المبارك: "بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه. قيل: بحد
؟ قال: بحد " ٦١

(ب) وإن أردتم بكونه محدوداً: أن العرش محيط به، فهذا باطل، وليس بلازم؛ فإن
الله - تعالى - مستوى على العرش . ٦٢
*** قلت :**

وعليه فما ورد في عبارات السلف من إثبات الحد ، وأخرى في نفيه فلا تعارض
بينها ؛ بل هي محمولة على التفصيل السابق .

*** ما ورد في طريقة أهل التحريف مع حديث الجارية :**

عمد المخالفون لأهل السنة في هذا الباب إلى الخوض بالباطل حديث الجارية ،
بالطعن في صحته تارة ، وبتحريفه تارة أخرى .

*** وأما طنعمهم في صحة الحديث :**

فلا شك في بطلان هذه الدعوى ؛ فهو حديث صحيح خرّجه جمع كبير من أئمة
الحديث وحفاظهم من طرق صحيحة كالشمس في واضحة النهار، ولكن أهل البدع
لا يعقلون، فيعلّون الحديث تارة بالاضطراب! وتارة بالشذوذ!! ولا اضطراب إلا في
عقولهم، ولا شذوذ إلا في أفكارهم، والله المستعان وحده، ولا حول ولا قوة إلا به. ٦٣
ولا شك في بطلان هذه الدعوى ، قال ابن عدوان:

وقد جاء لفظ " الأين " من قول صادق ... رسول إله العالمين محمد

كما قد رواه مسلم في صحيحه ... كذلك أبو داود والنسائي قد ٦٤
*** وكذلك فقد عمدوا إلى تحريف الحديث تحريفاً لفظياً ومعنوياً:**

*** ومن التحريف المعنوي للحديث :**

قالوا : إنما أراد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسؤال ب " أين " الاستفهام
عن المكانة لا المكان ، فيكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد سألها عن المنزلة
والرتبة في صدرها ، كما يقال : أين فلان من فلان ؟ وأين زيد منك ؟ توسعاً في
الكلام ، ولا يراد بذلك إلا الرتبة والمنزلة .

٦١ أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (ص/١٧٤) والدارمي في الرد على الجهمية (ص/٥٠)
وصححه شيخ الإسلام في الفتوى الحموية (ص/٣٣٣) ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/٥٤) و
الذهبي في العلو (ص/١١٠)

٦٢ شرح العقيدة الواسطية محمد الصالح العثيمين (ص/٢٢٣)

٦٣ وممن أعل الحديث ووصفه بالاضطراب محمد زاهد الكوثري حين علّق عليه في هامش كتاب الأسماء
والصفات للبيهقي ، إلا أن قدحه هذا غير وارد لأنه تعسف واضح وتجنّ بين، وقد فنّده ورد عليه الشيخ الألباني
في اختصاره لكتاب العلو للذهبي (ص/٨٢) ، و الكوثري هذا صاحب مواقف مغرضة وظالمة من أئمة السلف.
وانظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٦٧/٢)

٦٤ وانظر العقيدة الواسطية بتعليق ابن مانع (ص/١٢)

ويقول الإنسان لصاحبه أين محلي منك؟ فيقول في السماء يريد أعلى محل!!!
فجعلوا السؤال بأداة " أين " التي يستفهم بها عن المكان ممتنعاً في حق الله تعالى
؛ لأنها لازمها إثبات الظرفية .

وقد بين ذلك ابن القيم في النونية :

وتقول أين الله والأين فممتنع ... عليه وليس في الإمكان
لو قلت من كان الصواب كما ترى ... في القبر يسأل ذلك الملكان

أي : يقول الجهمي للرسول - صلى الله عليه وسلم- إنك تقول أين الله؟
والأين ممتنع على الله تعالى ومحال ، وليس بممكن ، والصواب أن تقول :
من الله ؟ كما يسأل الملكان في القبر الميت فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟
ومن نبيلك ؟^{٦٥}

* وقد تصدى العلماء لهذا التحريف البيّن لحديث النبي صلى الله عليه وسلم :
قال الذهبي :

ففي الخبر -أي خبر الجارية - مسألتان : إحداهما شرعية ، قول المسلم أين الله؟
وثانيهما : قول المسؤول " في السماء " ، فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر
على المصطفى صلى الله عليه وسلم .^{٦٦}
قال عبد الغني المقدسي :

ومن أجهل جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممن يقول إنه لا يجوز أن يقال:
أين الله، بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله " أين الله " !؟^{٦٧}
ويقول محمد خليل هراس:

هذا الحديث يتألق نصاعة ووضوحاً، وهو صاعقة على رؤوس أهل التعطيل، فقد
امتحان الرسول - صلى الله عليه وسلم - إيمانها، فكان السؤال الذي اختاره لهذا
الامتحان هو (أين الله؟) ولما أجابت بأنه في السماء، رضي جوابها وشهد لها
بالإيمان. ولو أنك قلت لمعتل: أين الله؟ لحكم عليك بالكفران.^{٦٨}

***وكذلك يقال :**

^{٦٥} وانظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٦٧/٢)

^{٦٦} العلو للعلو الغفار بتحقيق الألباني (ص/٨١)

^{٦٧} الاقتصاد في الاعتقاد(ص/٨٨)

يقول الدكتور محمد أمان الجامي : ولقد ذكرني هذا السؤال النبوي عبارة تقليدية كنت درستها وأنا طالب ضمن
ما درستة في بعض كتب الأشعرية وهي: لا يسئل عن الله بالألفاظ الآتية:

١- أين؟ ٢- وكيف؟ ٣- ومتى؟ ٤-وكم؟

كان من مشايخنا لا يسمحون لنا بشرح هذه الألفاظ، والسؤال عن الجواب لو سئل الإنسان عنها، ويقولون: هكذا
تؤخذ، ولا تناقش لأن النقاش في هذه المواضيع غير جائز.

وانظر الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص/٢٣١)

^{٦٨} انظر حاشية التوحيد لابن خزيمة(ص/١٢١).

أما الظرفية في قول الجارية " في السماء " فليست مرادةً بإجماع العلماء ، وإنما معناها العلوّ بالإجماع.

فجوابها بأن الله تعالى " في السماء " أي: في العلوّ - سبحانه وتعالى -، لا بمعنى أن السّماء تحويه وتحيط به، وهذا ضلال وكذب وافتراء، فالله - سبحانه وتعالى - لا يحيط به أي شيء.

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - شبهة من يقول بأن السّماء تحويه، وبيّن زيفها ، فقال :

من توهم أن كون الله في السّماء بمعنى أن السّماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ضال ، وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ ، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله: (إن الله في السّماء) أن السّماء تحويه ؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا .

وقد علم المسلمون أن كرسيه - سبحانه وتعالى - وسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته ، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه؟! وقد قال سبحانه: ﴿وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَتَعَلَّمْنَ أَتَيْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)﴾، وقال: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فِي الْآرِضِ﴾ بمعنى (على)، ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة .^{٦٩}

***قلت :**

ويؤيد هذا ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ " ^{٧٠} فكما وجب تأويل قوله " مَنْ فِي الْأَرْضِ " أي : من على الأرض ، فكذا يقال - ولا بد - في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - " مَنْ فِي السَّمَاءِ " : أي من على السماء . .

*** ومن التحريف المعنوي كذلك :**

أن ما تكلم به الرسول -صلى الله عليه وسلم - في حديث الجارية إنما قاله على سبيل التمثيل والتقريب لعقول الناس! فلما رسخت أقدامهم في الدين؛ عرفوا الحق بأنفسهم!!!

*** والجواب :**

هذا يلزم عليه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يُدخِل الناس في الدين إلا بالكذب

^{٦٩} مجموع الفتاوى (١٠٦/٥)
^{٧٠} أخرجه الترمذى (١٩٢٤) وأبو داود (٤٩٤١) قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

المحض - والعياذ بالله! - وأنهم عرفوا الحق من عند أنفسهم، لا من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يُبين للناس ما نُزل إليهم؛ بل غشهم وكنم عنهم ما فيه هدى ونور لهم! فأَيُّ كفر أعظم، وأَيُّ مصيبة أطم، وأَيُّ ذنب أقبح، وأَيُّ بلاء على الإسلام والمسلمين أعم من هذا؟! ومن ذلك قولهم :

إنَّ الرَّسولَ - صلى الله عليه وسلم - أقرَّ الجارية على قولها موافقة لها على عقلها؛ لأنَّ عقلها يقصر عن معرفة أدلة النَّظر! فَيُقال لهم:

هل أقرَّها - صلى الله عليه وسلم - على حق أم باطل؟ فإن كان الأول: فقد ارتفع النزاع، ولزم أن تُجيبوا مَنْ سألكم بـ «أين الله؟» بقولكم: في السماء، وتشهدون له بالإيمان، ونحن نراكم تُضللون وتكفرون مَنْ سأل عن الله بـ «أين؟»، والمجيب له بأن: الله في السماء.

وإن كان الثاني:

لزمكم القول بما ألزمتنا سابقاً من أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوِّر الناس على الكفر! بل يتكلم بما ظاهره كفر صراح من غير أن يؤوِّله لهم! وهل الكفر الذي ما فوقه كفر إلا مثل هذا؟! وهل تمَّ تنقيص لرتبة النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أعظم ولا أحطَّ قدرًا من هذا؟! ^{٧١}

* ومما ورد في تحريف حديث الباب :

أن حكمه صلى الله عليه وسلم بالإيمان للجارية لما أشارت إلى السماء، فقد انكشف به أيضاً إذ ظهر أن لا سبيل للأخرس إلى تفهم علو المرتبة إلا بالإشارة إلى جهة العلو، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يظن أنها من عبدة الأوثان فاستنطقت بمعبودها"

فعرّفت بالإشارة إلى السماء أن معبودها ليس من الأصنام !! ^{٧٢} والجواب أن يقال :

أولاً : ما ورد أن الجارية كانت خرساء ، وأنها أجابت بالإشارة فهذا مما لا يصح سنده .

ثانياً : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سألها عن الله، ولم يسألها عن معبودها ، ثم إن السؤال لو كان عن المعبود فقط لكانت الإشارة - على فرض صحتها - إلى السماء

^{٧١} الكُتُف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُبُكِّي (ص/٢١٦)

^{٧٢} نص عليه الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد (ص/٣٥)

غير كافية في الدلالة على الإيمان بالله، لأن في جهة العلو من عبد دون الله ، كمن عبد الشمس أو القمر أو الملائكة.^{٧٣}

*** ومن تحريفهم في هذا الباب :**

قالوا : أن رفع الأيدي في الدعاء إلى السماء ليس دالاً على صفة العلو ، إنما هو لكونها قبلة الدعاء ، كما أن البيت قبلة الصلاة .^{٧٤}

*** وجواب ذلك من وجوه :**

"الأول:

إن القول بأن السماء قبلة الدعاء قول لم ينزل الله به سلطاناً، ولم يرد عن أحد من السلف ، وهو من الأمور الشرعية الدينية التي لا يجوز أن تخفى عن الأمة وعلمائها.

الثاني:

أن هذا خلاف الثابت الصحيح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في مواطن كثيرة، ومن زعم أن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة فقد ابتدع بالدين وخالف جماعة المسلمين.^{٧٥}

*** ومن شبهاتهم :**

قد جاء الوعيد في السنة الصحيحة في النهي المصلى عن النظر إلى السماء ، فلو كان الله في جهة العلو لما ناسب ذلك ورود هذا النهي !!

والجواب ما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال رحمه الله:

وليس نهى المصلي عن رفع بصره في الصلاة رداً على " أهل الإثبات " الذين يقولون: إنه على العرش كما يظنه بعض جهال الجهمية ؛ فلو كان الأمر كذلك لكان النهي عن رفع البصر شاملاً لجميع أحوال العبد ، وقد قال تعالى: { قد نرى تقلب وجهك في السماء } ، فليس العبد يُنهى عن رفع بصره مطلقاً ، وإنما نهى في الوقت الذي يؤمر فيه بالخشوع؛ لأن خفض البصر من تمام الخشوع ، كما قال تعالى: {خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث} وقال تعالى: {وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي} .

وأيضاً فلو كان النهي عن رفع البصر إلى السماء وليس في السماء إله لكان لا فرق بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات .

^{٧٣} الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار بتحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف (ص/٦٢٣)

^{٧٤} كما نص على ذلك الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد (ص/٣٢)، وفي قواعد العقائد (ص/١٦٥)، قال : فأما العوام فقد يعتقدون أن معبودهم في السماء، فيكون ذلك أحد أسباب إشارتهم، تعالى رب الأرباب عما اعتقد الزائغون علواً كبيراً .!!!

^{٧٥} شرح الطحاوية (ص/٣٢٧) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد(ص/٤٠٠)

ولو كان مقصوده أن ينهى الناس أن يعتقدوا أن الله في السماء أو يقصدوا بقلوبهم التوجه إلى العلو ليبيّن لهم ذلك كما بيّن لهم سائر الأحكام ، فكيف وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في قول سلف الأمة حرف واحد يذكر فيه أنه ليس الله فوق العرش ، أو أنه ليس فوق السماء أو أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا محايث له ولا مباين له أو أنه لا يقصد العبد إذا دعاه العلو دون سائر الجهات؟!^{٧٦}

*** بل قد جعل الإمام ابن القيم هذا الحديث حجة على علو الله تعالى ، فقال :**

اشتد نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - للمصلي أن يزيغ بصره إلى السماء وتوعدهم على ذلك بخطف أبصارهم ؛ إذ هذا من كمال الأدب مع من المصلي واقف بين يديه بل ينبغي له أن يقف ناكس الرأس مطرقاً إلى الأرض ، ولولا أن عظمة رب العالمين - سبحانه - فوق سماواته على عرشه ، لم يكن فرق بين النظر إلى فوق أو إلى أسفل .^{٧٧}

*** أضف إلى ذلك أن هذا الحديث الذي شغبوا به في هذه الشبهة من أحاديث الآحاد ، فإما أن يكون صالحاً للدلالة في كل موطن ، وهذا مما يخالف أصولهم، وإما أن يتركوا الاستدلال به مطلقاً ، لا يستدلوا به إذا ما ظنوا أنه يوافق اعتقادهم ، ويردوه إذا ظنوا خلاف ذلك .^{٧٨}**

تم بحمد الله .

^{٧٦} وانظر مجموع الفتاوي (٥٧٨/٦)

^{٧٧} روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص/١٨٨)

^{٧٨} مقالات في تناقضات الأشعرية (ص/١١١)